اَلتَّارِيخُ: ٣١ مايو ٢٠٢٤ م- ٢٣ ذي القعدة ١٤٤٥ ه.

اَلْمَوْضُوعُ: أَهَمِّيَّةُ الْوَحْدَةِ وَالتَّضَامُنِ

بِسْـــــــــــــمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

" وَاَطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا اِنَّ اللّٰهَ مَعَ الصَّابِرِينَ."[١]

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا تَقاطَعُوا، ولا تَدابَرُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَحاسَدُوا، وكُونُوا إخْوانًا كما أمَرَكُمُ اللَّهُ."[٢]

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ!

إِنَّ دِينَنَا الْإِسْلَامَ هُوَ دِينُ التَّوْحِيدِ وَالْوَحْدَةِ. إِنَّهُ دِينُ الْأُخُوَّةِ وَالتَّضَامُنِ التَّعَاوُنِ. إِنَّ الْإِسْلَامَ يَأْمُرُنَا بِإِقَامَةِ عَلَاقَاتٍ مَبْنِيَّةٍ عَلَى الْخَيْرِ وَالْعَدْلِ مَعَ جَمِيعِ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ اَلَّذِي نَعِيشُ فِيهِ، وَأَنْ نَعِيشَ مَعَ إِخْوَانِنَا فِي الْمَحَبَّةِ وَالِاحْتِرَامِ. كَمَا يَحْرِمُ عَدَمَ اِحْتِرَامِ بَعْضِنَا اَلْبَعْضِ، وَقَطْعَ الِاهْتِمَامِ وَالْمَحَبَّةِ، وَكَسْرَ أَوَاصِرِ الْأُخُوَّةِ، وَاسْتِخْدَامَ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْأَلْفَاظِ وَالْأَفْعَالِ اَلسَّلْبِيَّةِ.

يا أيها المؤمنون!

عَلَى كُلِّ فَرْدٍ يَعِيشُ فِي الْمُجْتَمَعِ وَاجِبَاتٌ مُعَيَّنَةٌ لِضَمَانِ الْوَحْدَةِ وَالْأُخُوَّةِ وَالتَّضَامُنِ. وَأَوَّلُ هَذِهِ الْوَاجِبَاتِ أَنْ يَضَعَ الْأَفْرَادُ مَصَالِحَهُمْ جَانِبًا وَيُقَدِّمُوا مَصَالِحَ أُمَّتِهِمْ وَيَجْهَدُوا جُهْدًا كَبِيرًا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ. وَطَالَمَا قَامَ كُلُّ فَرْدٍ بِوَاجِبِهِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ، وَقَدَّمَ التَّضْحِيَاتِ اللَّازِمَةَ مِنْ أَجْلِ مَصْلَحَةِ الْمُجْتَمَعِ اَلَّذِي يَعِيشُ فِيهِ، سَيَكُونُ هُنَاكَ تَقَدُّمٌ وَرَقِيٌّ وَسَلَامٌ وَطُمَأْنِينَةٌ وَثِقَةٌ. وَإِلَّا فَلَنْ تَكُونَ هُنَاكَ وَحْدَةٌ وَتَضَامُنٌ وَرَفَاهِيَةٌ وَسَلَامٌ. وَإِنَّ الْإِسْلَامَ يُعَارِضُ أَنْ يُفَكِّرَ الْإِنْسَانُ إِلَّا فِي نَفْسِهِ وَمَصَالِحِهِ الْخَاصَّةِ.

وَشَهِدْنَا الْعَدِيدَ مِنْ الْأَمْثِلَةِ اَلْمُؤْلِمَةِ فِي التَّارِيخِ، كَمَا اَلْمُجْتَمَعَاتُ اَلَّتِي شَكَّلَهَا أَفْرَادٌ بَعِيدُونَ عَنِ الْوَحْدَةِ وَالتَّضَامُنِ وَاعْتَادُوا السَّعْيَ وَرَاءَ مَصَالِحِهِمْ اَلشَّخْصِيَّةِ فَقَطْ، دَفَعَتْ ثَمَنًا بَاهِظًا لِهَذَا الْخَطَأِ بِالِانْسِحَابِ مِنْ مَسْرَحِ التَّارِيخِ. لِأَنَّ مَا يُبْقِي الْمُجْتَمَعَاتِ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ هُوَ الْوَحْدَةُ وَالتَّضَامُنُ. وَعَكْسُ ذَلِكَ هُوَ الِانْقِسَامُ اَلَّذِي يَهْدِمُ سَلَامَ الْمُجْتَمَعِ وَثِقَتَهُ اَلِاجْتِمَاعِيَّةَ. وَلِهَذَا اَلسَّبَبِ، فَإِنَّ الطَّرِيقَةَ الْوَحِيدَةَ لِتَوْحِيدِ الْمُجْتَمَعِ وَتَوْفِيرِ بِيئَةٍ مِنْ السَّلَامِ وَالثِّقَةِ هِيَ تَوْفِيرُ التَّعَاوُنِ وَالتَّضَامُنِ بين الأفراد فِي إِطَارِ فَهْمِ وَحْدَةِ الْأُمَّةِ.

يا أيها المؤمنون!

لَقَدْ أَبْقَيْنَا نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ إِرْثَ الْأُخُوَّةِ الَّذِي وَرِثْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيًّا عَلَى مَدَى قُرُونٍ. لَقَدْ وَصَلْنَا إِلَى هَذِهِ الْأَيَّامِ مِنْ خِلَالِ الْحِفَاظِ عَلَى هَذَا الْفَهْمِ لِلْأُخُوَّةِ حَيًّا فِي مَنَاطِقَ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ الْعَالَمِ لِعِدَّةِ قُرُونٍ. وَلَمْ نَسْمَحْ لِلْمَصَالِحِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالصِّرَاعَاتِ عَلَى اَلسُّلْطَةِ أَنْ تُلْحِقَ الضَّرَرَ بِهَذَا الْمُجْتَمَعِ الْمِثَالِيِّ اَلَّذِي تَرَكَهُ النَّبِيُّ اَلْكَرِيمُ وَرَاءَهُ. لَقَدْ أَصْبَحَتِ الِاخْتِلَافَاتُ الْعِرْقِيَّةُ وَالسِّيَاسِيَّةُ وَالطَّائِفِيَّةُ وَالْمَذْهَبِيَّةُ مَصْدَرًا هَامًّا لِلثَّرْوَةِ، وَلَيْسَ عُنْصُرًا مِنْ عَنَاصِرِ الِانْفِصَالِ وَالْخِلَافِ. اَللَّهُمَّ حْفَظْنَا وَاِخْوَانَنَا اَلْمَظْلُومِينَ وَالْأُمَّةَ اَلْإِسْلَامِيَّةَ مِنْ كُلِّ أَنْوَاعِ الْأَعْدَاءِ فِي الدَّاخِلِ وَالْخَارِجِ، وَلَا تُعْطِ فُرْصَةً لَمِنْ يَطْمَعُ فِي وَحْدَتِنَا وَكَرَامَتِنَا وَشَرَفِنَا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى."[٣]

اَلْوَقْفُ الْإِسْلَامِيُّ الْهُولَنْدِيُّ

[١] سُورَةُ الأنفال، ٤٦/٨.
[٢] سنن الترمذي، كتاب البر، ٢٤.
[٣] صحيح مسلم، باب البر، ٦٦.